

الاستراتيجية البريطانية

في البحر المتوسط وموقع تونس فيها

الدكتور عبد الغفار محمد حسين

أستاذ مساعد التاريخ الحديث والمعاصر

كلية التربية - جامعة طنطا

١ - الاستراتيجية البريطانية في البحر المتوسط

في عام ١٧٩٣ استولت بريطانيا على قاعدة جبل طارق الحصينة . وكان التحالف البريطاني البرتغالي يحمي هذه القاعدة ضد احتياجات التاجوس Tagus (١) ، وساعد على استقرارها أيضاً قيام الولايات المتحدة بحملاتها ضد القرصنة في شمال أفريقية ، ثم بعد ذلك استولت بريطانيا على جزيرة مالطة عام ١٧٩٨م ، وهي القاعدة التي وصفت بأنها (أقوى قاعدة في أوروبا) (٢) ، ثم استولت على الجزر الأيونية حول قاعدتها البحرية في كورفو ، ومنذ بداية العقد الثالث من القرن التاسع عشر كان النفوذ البريطاني أقوى من غيره ، وفي سنة ١٨٠٢ عقدت بريطانيا معاهدة تجارية مع عدن (٣) فصار طريقها إلى الهند آمناً مهدداً ، وكانت أضعف مراكز النفوذ البريطاني على هذا الطريق هي مصر التي كان يحكمها محمد علي ، والذي استعان بالخبرة الفرنسية ، فصار النفوذ الفرنسي في مصر أقوى من غيره .

وبعد عام ١٨١٥ م كانت التهديدات لمنطقة البحر المتوسط تأتي من أيريا ومن ايطاليا ومن البلقان ، فشغلت بريطانيا بهذه المشاكل حرصاً على الحفاظ على الحالة الراهنة والاستقرار في منطقة البحر المتوسط . وذلك بعدم تشجيع قيام الوحدة في شبه جزيرة أيريا أو ايطاليا ، أو وقوع أحد هذه المناطق في يد دولة قوية توحيدها وتجعل منها منطقة نفوذ خطر ضد بريطانيا وسيادتها في هذا البحر . (٤)

وكانت فرنسا تسبب قلقاً لبريطانيا في أسبانيا ، كما أصبحت طولون في منتصف العقد الثالث قاعدة ضخمة تنافس مالطة ، كما كانت روسيا تسبب لها قلقاً في جزر البليار وفي ايطاليا (٥).

وعندما قامت ثورة اليونانيين ضد السلطان محمود ، وتدخلت قواته تساندها قوات محمد علي لاختاد هذه الثورة ، خشيت بريطانيا من أن تتخذها روسيا ذريعة للتدخل ، أو أن تتصرف فرنسا تصرفاً خاصاً ، ولذا حرصت على دعوة هاتين القوتين للتضامن معاً في اتخاذ عمل موحد . وفي معاهدة لندن عام ١٨٢٧م انفقت الدول الثلاث على منح اليونانيين استقلالاً ذاتياً ، وعلى أن يدفعوا الجزية للسلطان وأرسلت أسطولا مشتركا لايقاف القتال ، ولكن حدث أن اكتسح الفرنسيون الترك في المورة ، وفرض الروس نفوذهم في فارس بعد معاهدة تركمانشى ، وألغى السلطان محمود مهادنة أكرمان مع بريطانيا بعد غضبة بسبب تدمير أسطوله في معركة نوارين ، ثم تخلص السلطان من قوات الانكشارية المتمردة ، فأصبح بلا قوة ، ففرض عليه الروس اتفاق أدريا نوبلى في سنة ١٨٢٩ . وحصل القيصر على دلتا الدانوب ووقف مع ثوار المورة ، ثم تدخل الفرنسيون في الجزائر سنة ١٨٣٠م ، وسبب هذا كله قلقاً لبريطانيا ، ولكن الدول الثلاث عادت فاتفقت من جديد في عام ١٨٣٣م على منح اليونان استقلالها ، وعينت وعليها الأمير أوتوا ملكاً وأعلن الفرنسيون أن الجزائر أصبحت ملكاً لهم ، كما أن الهند ملك لبريطانيا .

وكانت السياسة البريطانية في القرن التاسع عشر بصفة عامة لا تستمر على حال واحدة ، في منطقة البحر المتوسط . فعلى حين وقفت هي وروسيا تسانده ثوار اليونان المطالبين بالاستقلال عن الدولة العثمانية في العشرينات كان بالمرستون ورسل مستعدان للمخاطرة بالحرب لمنع أية تصدعات في بناء الامبراطورية العثمانية واملاكها ، فبالمرستون كان يسير على سياسة حماية مصلحة بريطانيا أولاً ، ثم أن هذه السياسة نفسها لم تستمر على حال واحدة ، فقد تأثرت بمدى نمو المصالح البريطانية التجارية مع الدولة العثمانية .

وقبل عام ١٨٣٣م كانت الحكومة البريطانية لا تتبع أسلوباً محدداً نحو الدولة العثمانية ، وبعد موت كاننج سنة ١٩٢٧ اضطرت هذه السياسة في منطقة الشرق الأوسط (الشرق الأدنى في عرف ذلك الوقت) ، ولم يستطع كل من ولنجتون أو جودريس Goderich أن يرسم برنامجاً محدداً لهذه السياسة حتى انتهت حرب الاستقلال اليونانية ، ثم بعدها وفي بداية عهد المرستون شغل بالمشاكل القرية منه مثل مشكلة استقلال بلجيكا والثورة الفرنسية سنة ١٨٣٠م ، ومنطقة الراين ، وشغلت هذه المشاكل بريطانيا عما كان يجري في منطقة البحر المتوسط. (٦) .

ولما قام النزاع بين محمد علي والسلطان العثماني ، وعقدت روسيا مع السلطان معاهدة انكياراسكلسي شعر البريطانيون بالتهديدات في منطقة البحر الأحمر والبحر المتوسط ، وفي نفس الوقت كانت قد تقدمت طرق المواصلات ووسائلها ، ففضل البريطانيون طريق الكاب ، ثم عادوا مرة أخرى سنة ١٨٢٨م ، إلى طريق البحر الأحمر أيضاً ، وخاصة بعد فتح ترعة المحمودية للملاحة (٧) ، وبدأوا يعملون لاقتناع محمد علي ذلك ولكنه أرجأ تنفيذ المشروع نظراً للظروف السياسية ، وبعد اتفاقية انكياراسكلسي وشعور البريطانيين بتهديدات مواصلاتهم في البحر الأحمر فضلوا استخدام طريق القوات (٨) الذي سرعان ما أثبت عدم أهميته الكافية ، فعادوا مرة أخرى إلى البحر الأحمر وقناة السويس (٩) ، ثم بدأوا يتدخلون بالتضامن مع فرنسا وروسيا وبروسيا لفرض الاستقرار في منطقة مصر والشام ، كما طلب السلطان من بريطانيا أن تهتم بمنطقة عدن حتى لا يغزوها محمد علي (١٠) .

وأثناء الصراع العنيف بين محمد علي والسلطان ، والذي تهددت فيه الدولة العثمانية بقوة ، والذي وقفت فيه فرنسا مع محمد علي تعطف عليه ، شعر المرستون بالخطر فصمم على ضرورة الوقوف في وجه فرنسا ، وبعدم السماح لها بأية سبيل لتصبح سيده الطريق إلى الهند سواء بطريق مباشر أو غير

مباشر (١١) واستطاع أن يحرك الروس والنمساويين والبروسيين حتى فرضوا على محمد علي معاهدة لندن سنة ١٨٤٠م ، واستطاع بالمستون أن يعيد الوضع البريطاني القوي في القسطنطينية والقاهرة وأصبح الساحل الشمالي لأفريقيا، والذي يحيط بالطريق البريطاني إلى الهند هو مثار اهتمام بريطانيا منذ ذلك الوقت ، فحرصت على أن تقف في وجه أى سياسة تقوم بها أية حكومة لفرض نفوذها وتهديد طرق التجارة البريطانية . (١٢)

وفي ذلك الوقت أصبحت مسألة الحرص على عدم سقوط الامبراطورية العثمانية هي الشغل الشاغل لبريطانيا . وكان الرأى العام البريطاني قبل ذلك بقليل قليل الاهتمام بوسائل هذه الامبراطورية حتى كتب البعض ، (١٣) عن الدولة العثمانية ومواردها . فبدأ بعض الرجال يدرك أهمية موقع الدولة العثمانية الجغرافي في الطرق التجارية في البحر المتوسط ، ثم زاد الاهتمام بذلك حتى أصبح أمر الحفاظ على كيان الدولة العثمانية في الربع الثاني والثالث من القرن ١٩ مشكلة عامة ليس فقط في السياسة البريطانية ، بل في الرأى العام البريطاني كذلك .

وكانت معاهدة انكياراسكلسى كافية لتنبية الرأى العام ورجال السياسة للخطر الروسى ، ثم الخطر الفرنسى كذلك . وبدأ الشعب البريطانى يحس بأهمية تركيا لاقتصادهم ونموه ، ولطريق مواصلاتهم إلى الهند (١٤) ، فأصبح محور السياسة البريطانية يقوم على محورين .
الأول : الحفاظ على حدود الامبراطورية العثمانية ضد أى عدوان خارجى .

الثانى : هو تشجيع النمو الداخلى لهذه الامبراطورية حتى تصبح قوية وغنية .

أما البحر المتوسط ، فانه لم يأخذ أهميته في نظر بريطانيا كطريق للمواصلات إلى الشرق بصورة واضحة إلا في الربع الثاني من القرن ١٩ ،

وكان ذلك بسبب تغيرات صناعية ، وبسبب ازدياد الحاجة إلى المواد الخام والأسواق الجديدة الواسعة ، فقد كان تبادل المواد الخام والمواد المصنعة يحتاج إلى طريق أقصر من طريق رأس الرجاء الصالح . (١٥) .

وكانت الحاجة إلى هذا الطريق القصير قد بدأت تظهر منذ سنة ١٧٨٤م عندما بدأ جورج بلدوين يرى إمكانية وجود هذا الطريق عبر البحر المتوسط وخليج السويس (١٦) ، وفي سنة ١٨٣٠م كلف البرلمان البريطاني لجنة من الباحثين للبحث عن طريق أقصر إلى الهند (١٧) ووجدت هذه اللجنة أن الطريق عبر مصر يبلغ ثلث الطريق عبر رأس الرجاء أو يزيد قليلاً ، فبدأ التجار والشركات يتجهون نحوه ، وانشأت بريطانيا قنصلية لها في مصر (١٨)

ولما بدأ الفرنسيون بدرسون موضوع حفر قناة السويس ، رأى بالمرستون أن هذا المشروع سيجر أخطاراً ومشاكل سياسية عديدة ، فعارضته بشدة ، ورأى أن سكة حديد عبر الخليج أكثر أهمية وأقل تكلفة ، وأن الطريق عبر الفرات والخليج الفارسي (العربي) ليس أكثر أهمية فقط ، بل ويجنب الخطورة في البحر الأحمر والرياح الموسمية التي كانت تهب أربعة شهور في السنة ، ولذا فضل الطريق الذي كان تحت إشراف السلطان مباشرة ، وكان اهتمامه بطريق قصير عبر سورية والفرات سبباً في نفس الوقت في تقوية رغبته في نمو صداقة بريطانيا مع السلطان والحفاظ على امبراطوريته ضد كل من يريد تدميرها (١٩)

وعلى رغم أن تجارة بريطانيا مع الهند والشرق ، كانت تمر في معظم سنوات القرن ١٩ بطريق رأس الرجاء فإنه مع ذلك لم يبد أن هذا الممر ، أو هذه الموانئ التي أقيمت على الساحل الغربي لأفريقية ، كانت تشجع على نمو هذه التجارة ، أو فتح أبواب جديدة لتنمية رأس المال ، وهذه المشروعات كانت مركزة في المناطق النامية في شمال أفريقيا في مصر وتونس ومراكش ، وكانت هذه المنطقة مهمة ، ليس فقط من أجل تجارتها ، واحتياجها لرأس المال بل أيضاً لمكانتها في سياسات البحر المتوسط (٢٠)

إذن صار محور السياسة البريطانية بعد سنة ١٨٣٣م في أوسع أبوابه متأثراً بالموقع الجغرافي للامبراطورية العثمانية واملأكها في آسيا وأفريقية ، ونظراً لازدياد العلاقات التجارية بين بريطانيا وبينها ، فقد رغبت الأولى في عقد معاهدة تجارية معها ، ولكن العقبات كانت في الضرائب العالية التي تفرضها الدولة العثمانية على المنتجات المستوردة من بريطانيا وغيرها ، وفي احتكار كثير من السلع ، وقد تحمس كثير من رجال المال والتجارة لخفض ثمن البضائع البريطانية لعل هذا يفتح باب السوق العثماني أمامها . بل تحمسوا أيضاً لتخفيض عوائد الواردات البريطانية إن لم يكن الغاؤها (٢١) ، ورأى المرستون أن الدولة العثمانية يمكن أن تحقق مجرية التجارة مع بريطانيا أرباحاً أكثر مما تحققه بالاحتكارات التي تسبب الثروة فقط لفئة مختارة من الشعب التركي (٢٢) وبونسونبي سفير بريطانيا في القسطنطينية كان يرى في الدولة العثمانية مورداً لامكانات اقتصادية ضخمة ستفيد بريطانيا كثيراً ، فأخذ يلح على السلطان في ضرورة مراجعة النظم الموجودة والاحتكارات التي تحد من التجارة ، وبعد سنوات وافق السلطان على بدء المفاوضات في نوفمبر سنة ١٨٣٦م ، وقام بونسونبي بمناقشة موضوع عقد معاهدة تجارية تحدد فيها التعريف الجمركية ، واشترك معه بعض رجال المال البريطانيين ، ورغم العقبات التي تخللت هذه المفاوضات ، ومنها قيام فرنسا بمفاوضات مماثلة جعلت بريطانيا تحشى على حخطها ، فقد تم عقد المعاهدة في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٨م وسميت معاهدة بلصة ليمان ، وتم الاتفاق فيها على أن :

- ١ - تلغى تركيا الاحتكارات التجارية .
- ٢ - تعترف بالامتيازات التي منحت من قبل للرعايا البريطانيين .
- ٣ - يسمح للتجار البريطانيين بالمتاجرة في أي بلد من ممتلكات الدولة العثمانية .
- ٤ - تفرض على الواردات في التجارة الداخلية نسبة ٣٪ ، وعلى الصادرات ٩٪ .
- ٥ - تنفذ المعاهدة من اول مارس سنة ١٨٣٩م .

أما الهدف السياسي من معاهدة بلطة ليمان ، فقد كان كما قال بالمستون (أن الزيادة في التبادل التجاري بين الرعايا في الدولتين سوف يؤدي حتماً إلى تقوية الاتحاد السياسي بين الحكومتين) (٢٤) ، وكذلك فإن رفع الاحتكارات سوف (يقطع قوة محمد علي في مصر وسوريا من جذورها) (٢٥) ، ذلك لأن الساطن بتوقيعه هذه المعاهدة فإنه يستطيع أن يفرض تنفيذها في ممتلكاته ومنها مصر ، وبذلك يدمر محمد علي واحتكاراته ويقلص سلطانه (٢٦) .

وكانت سياسة بريطانيا في تعاملها مع الدول في نحو منتصف القرن ١٩ ، وفيما قبل ذلك تقوم على أساس العمل على تشجيع التقدم الثقافي والحلبي والمادى في العالم ، ولذا فيجب أن تتحلى الحكومة البريطانية بالعدالة والاعتدال واحترام النفس ، وأن تعامل الدول الأخرى بنفس معاملتها لها ، وبما أن التجارة الخارجية كانت ذات أهمية كبرى لبريطانيا ، وتحمل وسائل الحضارة ، فلهذا كان أول واجبات الحكومة البريطانية هو تدعيم الأمن والحرص عليه ، والذي هو أساس نجاحها وتقدمها ، ثم العمل على حماية رعاياها في الخارج ، كما تتولى حمايتهم في الداخل ، ولذا فذلك يعتمد على علاقات الصداقة بين بريطانيا والدول التي يعيشون فيها ، هذا وفي الوقت نفسه تعمل على عدم التدخل في شئون الدول الداخلية . محافظة على عظمة بريطانيا وأمنها ، ولتقوية النفوذ الأدبي لها أمام الرأي العام في العالم ، وتعمل كذلك على تقديم العون للدول حين تريد مساعدتها في تدعيم مؤسساتها الحرة ، وتقديم للدول المستشارين حين يطلبوا . (٢٧)

أما سياستها إزاء الدولة العثمانية فقد كانت تقوم على أساس أن هذه الدولة دولة ضعيفة ، وجيشها ضعيف ، وروسيا دولة أقوى منها ، وهي تريد المضايق وتريد القسطنطينية ، ولو وصلت إليها لأصبحت خطراً على أوروبا وخاصة بعد تزايد أطماع المسيحيين والعناصر السلافية في اليونان الذين أصبحوا على درجة من الثقافة والثورة ، والذين تطلعوا إلى روسيا ، وأصبح العلاج هو دفع الدولة العثمانية إلى تحسين معاملتها للمسيحيين التابعين

لها في البلقان درعا لادعاءات روسيا ، ثم مساعدة السلطان في الدفاع عن عاصمته وعن عرشه واملاكه ، ويستحسن في هذه الحالة العمل على محالفة فرنسا والنمسا (٢٨) ، فقد كانت هاتان الدولتان تشاركان بريطانيا في الحرص على ألا تقع القسطنطينية في يد روسيا ، وعلى هذا فيجب العمل ..

١ - على تجنب الأعمال الحربية والبحرية التي تهدد الدولة العثمانية وأمنها.

٢ - على تجنب الخلافات والمنازعات بخصوص الأمور التي تؤثر على الدولة العثمانية وحلها بواسطة التضامن الحيوى بين دول أوروبا ، وعدم دفع هذه الخلافات لتضعف هذه الامبراطورية وتفككها . (٢٩) .

وهذه الأسس العامة أثرت على تصرفات بريطانيا وسياستها في البحر المتوسط خلال القرن ١٩ م .

ولذلك فقد حرص بالمرستون وأنصاره من ساسة بريطانيا في خلال النصف الأول منه على أن يمنعوا الفرنسيين من اقامة امبراطورية لهم في شمال افريقية تهدد مصالحهم في الهند ، وتوازن امبراطوريتهم ، وصمموا أيضاً على منعهم من اقامة مراكز نفوذ لهم في طريق السويس إلى الهند (٣٠) ، فرغم الصداقة التي كانت بين بريطانيا وفرنسا ، لم يكن البريطانيون ووزيرهم بالمرستون مستعدين للتضحية بمصالح بريطانيا من أجل هذه الصداقة ، فقد قال بالمرستون لجيزو (... وكل الساحل من مراكش إلى خليج الاسكندرونة يصبح حينئذ تحت سيطرتكم ... إن هذا لا يناسبنا بالتأكيد) (٣١) وذلك عندما بدأت فرنسا في احتلال الجزائر ، وعندما أخذت تتطوع بعدها إلى تونس ومراكش .

فعندما احتلت فرنسا الجزائر عارض البريطانيون هذا العمل واحتجوا عليه ، بل أنهم هددوا بالحرب إذا كانت فرنسا تريد احتلالاً دائماً للجزائر (٣٢) وهنا تلقوا تأكيدات من وزراء شارل العاشر أن هذا الاحتلال لن يستمر

بدون موافقة التوى الأخرى ، وعندما جاءت حكومة لويس فيليب بعد شارل العاشر أعلنت أيضاً تمسكها بهذه الوعود ، ثم ظهر أن فرنسا تريد البقاء في الجزائر مهما كانت آراء ومواقف الدول الأخرى ، وفي ذلك الوقت لم تكن بريطانيا تستطيع أن تدخل معها في حرب ، ولذا فقد سكت الدبلوماسيون البريطانيون عن هذا الموضوع رغم عدم موافقتهم عليه ولكنهم بقوا يصرون على الرفض (٣٣) ، حتى إذا ما نجحت فرنسا في اخماد مقاومة الأمير عبد القادر اعترفت بالاحتلال الفرنسى للجزائر سنة ١٨٤٣م ولكنها عندما رأت فرنسا قد بدأت تضرب مراکش وطينجة احتجت بشدة وهددت بالحرب لو أقدم الفرنسيون على احتلال المناطق التى تحيط بجبل طارق فراجع الفرنسيون . (٣٤) .

وكانت فرنسا فى ذلك الوقت قد بدأت نشاطاً استعمارياً فى الباسفيك والأرجنتين وفارس والهند ، فأثار ذلك بريطانيا بشكل ملحوظ ، وأثار شكوكها ، حتى أن بالمرستون تصور أن محمد على الذى استقل بإدارة شئون مصر عن السلطان العثمانى واحتل سورية وبلاد العرب والسودان ، وأصبح وثيق الصلة بفرنسا، سيضع هذه الامبراطورية تحت النفوذ الفرنسى (٣٥)

هكذا نظرت بريطانيا إلى أن فرنسا تريد أن تصارع سيادتها فى البحر المتوسط ، فقد أعلن الملك لويس فيليب ذلك فى سنة ١٨٣٠م (٣٦) ، ولهذا أولى بالمرستون الوصول إلى اتفاق مع فرنسا حول تحديد التسليح فلم ينجح ، دارت فى البرلمان البريطانى مناقشات حول تقوية الأسطول البريطانى ، وخاصة البحر المتوسط . (٣٧) .

ظلت بريطانيا على شكوكها من احتلال فرنسا للجزائر ونشاطها فى المناطق المجاورة ، وخاصة بعد أن ظهر أنها لا تريد ترك الجزائر ، وأثار ذلك الارتياح فى مراکش ، فأرسل بالمرستون إلى سفيره فى باريس ليذكر الحكومة الفرنسية بوعودها فيما يختص بمراكش وتونس ، وليذكرها بأن أى حصار

للشاطيء سيقابل بتأثير سىء فى الرأى العام البريطانى ، كما أن السفير أخبر ملك فرنسا فى ٩ مارس سنة ١٨٤٠م بأن بريطانيا لاتريد من فرنسا التفكير فى معاقبة سلطان مراكش لأنه ساعد الأمير عبد القادر ، وفعلاً أكد له الملك بأنه لاتفكير فى ذلك ، ومع ذلك ظل بالمرستون قلقاً حتى حصل من وزير الخارجية الفرنسى على وعد مكتوب بذلك (٣٨) ، وإن كانت فرنسا قد قالت أنها سوف لاتسكت إذا ما حاول السلطان العثمانى استرجاع سيادته المباشرة على تونس بعمل عسكري . (٣٩)

وظلت بريطانيا لمدة نصف قرن تقريباً تقف فى وجه فرنسا وتطلعاتها الواسعة على الساحل الشمالى لأفريقيا ، وأخذ طابع الصراع بين الدولتين يأخذ طابع الصراع على الأمور الاقتصادية ، حتى أنه مع مرور الوقت بدأ البريطانيون يدركون أن احتلال فرنسا للجزائر كان سلاحاً قوياً موجهاً ضد السيادة التجارية البريطانية فى البحر المتوسط ، وظلت هذه الفكرة تسيطر على العلاقات بين الدولتين وعلى موقف كل منهما من شمال أفريقيا . (٤٠)

وكانت احدى المسائل التى لاتقبل الجدل عن المسألة الشرقية هى أن الدولة العثمانية كانت لايمكن تقسيمها لارضاء كل الدول الكبرى . ولذا فان فرنسا رغم استيلائها على الجزائر . ورغم تطلعها إلى تونس ، فقد ظلت تعمل مع بريطانيا على الحفاظ على كيان هذه الدولة ، وعلى سيطرتها على المضائق ، فقد دخلتا بأسطولهما فى حرب القرم سنة ١٨٥٦م ضد روسيا ، وأجبرتا الاسطول الروسى على العودة إلى مقره فى ميناء سيستبول ، ومعنى ذلك كما يقول تيلور ، أن بريطانيا كانت تريد أن تكون الدولة العثمانية دولة مستقلة حفاظاً على الأمن فى شرق البحر المتوسط ، وأنها ودول غرب أوروبا دخلت الحرب ضد الروس ليس من أجل الترك فى حد ذاتهم ، وإنما حفاظاً على ميزان القوى فى البحر المتوسط وفى أوروبا لصالح أوروبا ، وأن مؤتمر باريس الذى عقد بسبب هذه الحرب فى باريس فى ٢٥ فبراير سنة

١٨٥٦ - ١٦ أيزيل سنة ١٨٥٦م كان بمثابة مؤتمر نوقشت فيه مسائل أوروبا
أكثر منه صلحا لحل مشاكل الشرق الأدنى (الأوسط) (٤١).

حتى سنة ١٨٧٥م حين ثارت المسألة الشرقية من جديد بثورة السلاف
ثم أهل البوسنة ضد الترك ، كانت بريطانيا لاتزال تحتاج إلى الدولة العثمانية ،
والحفاظ على كيانها كحاجز حيادي للحفاظ على الأمن في شرقي البحر المتوسط
وفي الشرق الأدنى بصفة عامة ، ثم احتاجت لها أكثر بعد افتتاح قناة السويس
للملاحة سنة ١٨٦٦م ، ولذا فقد كانت حريصة على عدم فتح المسألة
الشرقية (٤٢) ، ولكن عندما ثارت هذه المسألة - كما قلنا - كان أمر الدفاع
عن الأمبراطورية العثمانية هو أمر هام بالنسبة لبريطانيا .

ولكن يجب أن نفهم أن الرأي العام البريطاني في ذلك الوقت قد انقسم
حيال هذه المسألة ، فقد كان هناك فريق يرى أن الأمبراطورية العثمانية قد
اضمحلت تماما ، وأن السياسة القديمة في المحافظة عليها لم تعد ممكنة ، نظر هذا
الفريق إلى كل اقتراح جديد بشك وريبة ، ومن هؤلاء لورد دربي ، لكن
الفريق الآخر كان يتساءل؟.... ولكن كيف نحصى الطريق إلى الهند ، من
تهديدات روسيا ، وكيف نحفظ الأمن والميزان في البحر المتوسط ؟

وكان هذا الفريق وعلى رأسه دزرائيلي ، وكان رجلا (انجليزيا . انجليزيا
حتى عموده الفقري ، كل كلمة من كلماته كانت لها معنى لدى الجمهور
الانجليزى . فالمصالح البريطانية فقط ، والرغبات البريطانية ، والمزايا بدت
في تصرفاته (٤٣) ، ولذا كان في خلال حياته حريصاً على حماية ومساندة
استقلال الامبراطورية العثمانية كأفضل وسيلة للحفاظ على المصالح البريطانية
في الشرق وفي البحر المتوسط ، وكان أفضل الرجال الذين عملوا معه هو لورد
سالسبرى الذى تولى وزارة الخارجية ، وصار الاثنان معا حجر الزاوية في
في هذه السياسة التي اتبعتها بريطانيا منذ ذلك الوقت . (٤٤) .

وكانت الصحف تلعب دورها في هذا الموضوع ، وخاصة صحيفة

التامز التي تبنت الرأى الأول ، وكانت ترى عدم الثقة فى امكانية الاصلاح العثمانى ، وتكره ما تسميه (الاستبداد الاسلامى) (٤٥) .

وكان هناك فريق ثالث يدعو إلى حماية مصالح بريطانيا فى عالم واسع ، ولكنه لم يكن مع الدولة العثمانية ولا ضد روسيا (٤٦) .

وكان دزرائيلى رجلاً يحب الشهرة ، ومغامراً مستعداً لارتكاب المخاطر فى سبيل تحقيق أهدافه بعكس دربى وكان مستغرقاً فى الاهتمام بأمرى الدولة العثمانية ، وكان البريطانىون فى ذلك الوقت ينظرون إلى أهداف النمسا وروسيا بتوجس ، وكذلك إلى أهداف بسمارك ، وان كانت هناك ظلال من الشك حول هذه الأهداف ، فرغم أن بسمارك امتدح سياسة دزرائيلى فى حماية مصالح بريطانيا ، وشراء أسهم قناة السويس ، رغم أنه أنكر أنه توقع فى ذلك الوقت عملية تحطيم الامبراطورية العثمانية ، فان أثر تلميحاته عن السياسة التى كانت تنهجها بريطانيا كانت واضحة (٤٧) .

وفى يناير ١٨٧٦م أسر بسمارك إلى رسل أنه لا يجد أن الوقت قد حان لاقتسام أملاك الدولة العثمانية ، ولكنه يرى أطماع روسيا والنمسا ، وهو عموماً لا يرغب فى مقاومتها . وهنا كانت تنور عمدة تساؤلات :

أ (هل كان بسمارك يرغب فى أن يقيم لألمانيا نفوذاً مع بريطانيا فى البحر المتوسط ؟

ب) وهل كان بسمارك يرغب فى أن يحوز مقاطعات أخرى بعيداً عن الصراع الذى سيصاحب اقتسام أملاك الامبراطورية العثمانية ؟

ج) أو هل هو يرغب فقط فى أن يستعين بالمقاومة البريطانية ضد روسيا وفرنسا؟ (٤٨)

هذه التساؤلات أثارت الحكومة البريطانية وأثارت شكوكها ، وفى نفس الوقت أثار شراء دزرائيلى لاسهم قناة السويس الشك فى نفس فرنسا ،

فقد قال ديكاز للورد ليونز أن هذا نذير بقيام الخلاف بين بريطانيا وروسيا ، وأن فرنسا قد تجد نفسها مضطرة لاتخاذ أحد موقفين . اما مع بريطانيا ، أو عليها ، أما المانيا فكانت تعارضهما معا ، ومع هذا فان ليونز كان يرى أن فرنسا بالرغم من هذا الغضب الظاهر قد تتجنب القيام بعمل خطير .

وفي روسيا علقت الدوائر السياسية على أن عملية شراء الاسهم ، ليست عملية تجارية ، وانما هي مسألة تهتم كل دول البحر المتوسط وبالأخص فرنسا ينبغي أن تكرر هذه المسألة موضوعاً لتسوية دولية .

ولأن دزرائيلي كان لا يريد أن يلبى بفرنسا في أحضان روسيا ، فانه لم يرد اثارها (٤٩) أما دربي ، فقد كان يريد التحالف والتعاون مع فرنسا في منطقة البحر المتوسط فأخذ يوضح لفرنسا عندما كانت تثور اشاعة اعتزام بريطانيا ضم مصر أن هذا العمل لأساس له . (٥٠)

وكانت كلما اثيرت اشاعة اقتسام ممتلكات السلطان . تثور اشاعة أن بريطانيا تريد جزيرة قبرص .

وحقيقة فقد كانت الصحف البريطانية تعد الرأي العام لموضوع اقتسام املاك السلطان والابتيلاء على مصر (٥١) .

ومهما قيل عن الافلاس والضعف العثماني ، فقد ظن بعض رجال المال أن الامبراطورية العثمانية يمكن أن تقف على قدميها في خلال خمس سنوات وذلك لو تولى الادارة فيها رجال اكفاء مخلصون ، أو بعض موظفي الهند المختارين ، وهذا هو مادعا رجل مثل سالسبري إلى أن يتبنى سياسة العمل على الدعوة إلى اصلاح الدولة العثمانية وشتونها .

وعادت بريطانيا ، محافظة على مواصلاتها مع الهند ، وعلى ميزان القوى في البحر المتوسط ، إلى سياستها في الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية وممتلكاتها (٥٢) ، ولذا فعندما وجدت أن روسيا بدأت تنتصر في حربها معها سنة ١٨٧٥ ودخلت بأسطولها إلى مياه الدردنيل بعد أن تقدم الروس نحو

المضايق ونحو القسطنطينية ، وأصبح الخطر محدقاً ، وأرسلت لهذا الغرض الاميرال هورنبي Hornby ، وحذرت الروس من التقدم نحو العاصمة أو الساحل الأوربي أو الأسيوى للدردنيل . (٥٣) .

وبعد انتهاء الحرب فرضت روسيا على الدولة العثمانية اتفاق سان استفانو ولكن بريطانيا تدخلت فعمد مؤتمر برلين ١٣ يونية - ١٣ يولية سنة ١٨٧٨م (٥٤)

وهنا رأى سالسبرى أن روسيا أخذت كثيراً ، فخشى من تهديدها للبحر الأسود ، ولآسيا الصغرى بحصولها على باطوم ، فعمل على عقد اتفاق مع الدولة العثمانية ، يضمن فيه سيطرة بريطانيا ، وتحرك أسطولها في منطقة المضائق حين يريد أن يحمي منطقة البحر الأسود حفاظاً على مواصلاتها في البحر المتوسط ، وحصل بذلك على حق إدارة جزيرة قبرص فأصبحت بريطانيا من جبل طارق ومالطة وقبرص تحمي مصالحها في البحر المتوسط والشرق (٥٥)

٢ - أهمية تونس في الاستراتيجية البريطانية

يقع شمال أفريقيا (المغرب العربي) بين روما شرقاً ولندن غرباً ، بحيث تقع مدينة تونس غربى روما ، وتقع مدينة طنجة غربى لندن ، ولتونس أحد هذه الدول ساحل يطل على البحر المتوسط شرقى جبل طارق بنحو ٩٠٠ ميل وغربى قناة السويس بنحو ١٣٠٠ ميل ، ويفصل سواحل تونس عن صقلية ٨٥ ميلاً فقط ، وتونس العاصمة وصقلية يقسمان البحر المتوسط تقريباً ، وتونس بموقعها بساحل شمالى وساحل شرقى كانت ملتقى حضارات البحر المتوسط ، أتت منها أقوى التيارات السياسية والعسكرية ، فقد كانت مركزاً قوياً حين خرجت منها غزوات العصر القرطاجى أيام هانيبال ، ثم أصبحت بعد ذلك مركز امتداد النفوذ الرومانى فى افريقيا ، وكذلك فى العصور الوسطى صارت هى والجزائر مركزاً لامتداد المسيحية فيها . ثم أصبحت

بعد ذلك مركزاً لامتداد الاسلام والثقافة العربية في شمال وغرب أفريقيا وجنوب غرب أوروبا ، وصارت احدى مراكز الثقافة العربية الاسلامية ، وأصبحت تتوسط العالم الاسلامي ، ومنها خرجت غزوات لفتح صقلية وكريت ، ولنشر الاسلام في الجزر حول شبه جزيرة ايطاليا ، ثم عندما ضعفت القوى الاسلامية في العصر الحديث تعرضت تونس لغزوات النورمان من صقلية في القرن ١٢م والاسباني في القرن ١٦ ولموجة الحضارة الغربية الحديثة في القرن ١٩ ، ولما صارت ولاية خاضعة للدولة العثمانية في القرن ١٦ ظلت ولاية عثمانية حتى غزتها فرنسا سنة ١٨٨١م (٥٦) .

وفي القرن ١٩ كانت تونس في نظر بريطانيا تلعب دوراً هاماً في استراتيجيتها في البحر المتوسط ، فقد كانت دولة حاجزة Buffer State تلعب دوراً هاماً في حماية مستعمراتها عبر البحار ، وكانت الدولة التي تستولى على تونس ، وتستطيع أن تقيم في بنزرت ميناءاً حريباً قوياً كانت تعتبر خطراً كبيراً على بريطانيا . ولذا فقد كان الحفاظ على استقلال تونس أمراً هاماً ، إذ لو حدثت واحتلت دولة مثل فرنسا أو ايطاليا - وهما الدولتان اللتان كانتا تطمعان في تونس - لازداد نفوذ فرنسا وايطاليا في البحر المتوسط ولا نقبل ميزان القوى فيه ، بل وفي أوروبا نفسها ، ولأدى أيضاً إلى تمزيق أوصال الدولة العثمانية ، التي حرصت بريطانيا على بقائها وتدعيم وجودها . (٥٧) .

وكان حكام الهند ينظرون إلى فرنسا على أنها العدو اللدود لهم ، ولو أنها احتلت تونس لأحالت بنزرت إلى طولون أخرى ، ولقطعت أحد طرق المواصلات الهامة إلى الهند ، ولذا فقد احتلت تونس في نظرهم مركزاً هاماً في الامبراطورية العثمانية (٥٨) .

وقد اختلف المؤرخون حول عوامل التدخل والاهتمام لدى القوى الكبرى بجهات تونس وشمال أفريقيا ، فعلى حين يرى ولف (٥٩) أن ذلك كان يرجع إلى رغبات ومصالح فئة من رجال المال في فرنسا وايطاليا

وبريطانيا ، نرى أن غيره من أصحاب الدراسات الحديثة ومنهم ستالي (٦٠) يرجع ذلك الاهتمام إلى عوامل سياسية ويستشهد في ذلك بأن الصراع بين هذه القوى الثلاث حول تونس ، وان كانت عوامله الظاهرة مشاكل اقتصادية فإنه كانت وراءها دوافع سياسية ، كما أن القناصل البريطانيون في تونس وخاصة رتشاد وود عام (٥٦ - ١٨٧٩م) كان يرى أن وراء النمو الاقتصادي البريطاني في تونس أهمية سياسية ، وأن في الوقوف البريطاني في وجه التنافس الفرنسي الإيطالي واطماعهما في تونس ، يمكن حفظ البلاد وتقويتها ، ومن أجل تقويتها يجب العناية بمصالحها الاقتصادية .

وفرنسا منذ أن استولت على الجزائر ، وهي تريد السيطرة على تونس فوقفت لها بريطانيا تحذرها من هذا العمل في صرامة لأن معنى استيلائها على تونس بعد الجزائر هو السير خطوة كبيرة في تحويل البحر المتوسط إلى بحيرة فرنسية ، وكان هذا يؤدي بالطبع إلى تهديد المواصلات البريطانية مع الشرق ، وكان رجال البحرية البريطانية يرون في ذلك الوقت أن فرنسا بامتلاكها ميناء كبيرا في طولون ، ثم بسيطرتها على الميناء التونسي ببنزرت وكذلك ميناء فارنا لا يمكنهم من فرض السيطرة البحرية البريطانية دوماً ، وهو أمر كانت السياسة البريطانية عليه جد حريصة ، وصار من ثم أمر الحفاظ على الحالة الراهنة في تونس والحالة الراهنة في البحر المتوسط هو أساس السياسة البريطانية حتى منتصف السبعينات تقريباً .

وقد أثر هذا الموقف على السياسة البريطانية بشكل قوى ، برهنت عليه الأحداث بشكل واضح ، فبريطانيا كانت تنظر إلى تونس ، -بعكس فرنسا - على أنها جزء من الامبراطورية العثمانية ، وكان أمر الحفاظ على الامبراطورية العثمانية وتكامله موضوعاً شغل الساسة البريطانيين حتى نهاية القرن التاسع عشر تقريباً ، وقد رأينا أن بريطانيا وقفت في وجه محمد علي عندما هدد الدولة العثمانية ، لأن هذا صحبة بالتالي تهديد روسيا لمصالح بريطانيا ورغبتها في السيطرة على المضائق وعلى القسطنطينية . (٦١)

ومرة أخرى في سنة ١٨٧٦ عندما أوشكت الدولة العثمانية على الانهيار

أمام الروس ، ذهبت بريطانيا إلى حد التفكير في الدخول في حرب ضدهم إذا لم يراجعوا عن القسطنطينية مثلما فعلت سنة ١٨٥٦م في حرب القرم وعندما تم الصلح وعقد صلح سان استفانو ، صمم البريطانيون على ضرورة مراجعة موضوع الصلح لأنه كان يعطى روسيا مواقع ، رأت بريطانيا أنها تهدد مصالحها ومواصلاتها في الشرق ، وعقد لهذا الغرض مؤتمر برلين ، وحصلت فيه بريطانيا من الدولة العثمانية على حق ادارة جزيرة قبرص (٦٢) .

وأصبح سالسبرى يرى أنه من الضروري اعاقة أى اتفاق يردى بالدولة العثمانية إلى التبعية وذلك بتقديم المساعدات الضرورية حتى لا يؤدي ذلك إلى تهديد المضائق ، أو يضر بالمصالح البريطانية في الأماكن التي تظلمها السيادة العثمانية . وأنه وإى كان من الصعب أن تقف هذه الدولة على قدميها كقوة يعتمد عليها فلذا رأى :

٦ - دفع السلاف إلى البلقان ، ووضع الامارة الاغريقية تحت سيادة السلطان .

٢ - ضمان حرية المرور في المضائق .

٣ - أن تحصل بريطانيا بجانب قبرص على ليمنوس مع احتلال مكان آخر مثل الاسكندرونة كضمان للحماية . (٦٣) .

وكان يقول أن الدولة العثمانية تمتد إلى مناطق جغرافية هي مناط اهتمام بريطانيا في الظروف الراهنة ، وكان يقول (أن السيادة الشرعية لتلك الحكومة تمتد إلى مناطق جغرافية يجب - تحت كل الظروف - أن تكون مثار الاهتمام العميق لبريطانيا العظمى ، فسيادتها معترف بها في الخليج الفارسى ، وعلى شواطئ الشرق وفي المناطق المحيطة لقناة السويس) ، ولذا فيجب دفعها إلى اصلاح أحوالها تحت حكم آل عثمان ، وإزالة كل أسباب الشكوى حتى تحافظ على امبراطوريتها حتى يحين الوقت الذي تصبح فيه قادرة على السير ، ولا يتم هذا إلا بالمساواة بين الرعايا من كل الأجناس والأديان ليصبحوا وطنيين مخلصين للدولة ومستعدين للدفاع عنها ، ورعايا مخلصين للسلطان (٦٤) .

ثم أننا نراه في هذه الرسالة لا يذكر المناطق الأفريقية مثل تونس وطرابلس ومصر على أنها أجزاء من الامبراطورية العثمانية ، ويتكلم عن الأجزاء الآسيوية والأوربية مع أن هذه كانت تخضع للسلطان وخاصة طرابلس التي استعاد فيها نفوذه المباشر بحملة سنة ١٨٣٥م وتونس التي كانت بريطانيا ترى أنها جزء من هذه الإمبراطورية (٦٥) .

وكان دزرائلي بعد عودته من برلين قد أطلع الملكة على فكرته في اقامة تحالف وعصبة الأمم في البحر المتوسط ، وأخذت هذه الفكرة طور النمو عندما قامت المحادثات بين سير أغسطس باجت سفير بريطانيا في روما ودبريتيس Depretis رئيس الوزراء الإيطالية ، وكانت فكرة دزرائلي هي العمل على تكوين تحالف من دول البحر المتوسط بدءا بإيطاليا واليونان ، ثم بعد ذلك العمل على ضم النمسا وفرنسا ، ويمكن اعطاء إيطاليا ألبانيا ، وفرنسا تونس (٦٦) . ولكن لورد ليونز كان يعارض هذه الفكرة على أساس خبرته بالفرنسيين ، ويرى أن ما هو مهم للمصالح السياسية البريطانية في البحر المتوسط تضره مشاركة كل أو أغلب القوى (٦٧) ، وشاركه في الرأي لورد تندرند ولورد دربي ، ولما عرض الأمر على الكونت كورتني وزير خارجية إيطاليا رفض خوفاً من أن يجر ذلك إيطاليا إلى حرب ، وجربا وراء سياسة إيطاليا في الحياد في أوربا (٦٨) ولذا فقد حرص لورد دزرائلي (بيكونز فيلد) على البحث عن جبل طارق جديد في الشرق الأدنى .

وبعد حصول بريطانيا على قبرص سنة ١٨٧٨م بدأت تغير نظرتها إلى تونس ، فلم تعد تنظر إليها بنفس المنظار الذي نظرت به إليها في العقود السبعة من القرن ١٩ ، لأنها رأت أن جبل طارق ومالطة وقبرص ، وأسطول قوى في البحر المتوسط كاف للحفاظ على مصالحها ومواصلاتها ، وهي كذلك فكرت في ذلك الوقت في مصر وقناة السويس فلم تعد تخشى من وجود فرنسا في تونس ، ولكنها لم تكن ترضى بوجود إيطاليا فيها (٦٩) ، ذلك أن بريطانيا وجدت غضباً فرنسياً لحصول بريطانيا على قبرص ،

فأرادت أن تعوضها بعرض تونس عليها ، ثم لأنها كانت تود أن تتعاون معها فرنسا في مصر ، ولأنها أيضاً وجدت أن تونس بموقعها الجغرافي أقل خطورة على مصالح بريطانيا آنذاك من التضحية بمراكش أو بمصر ، ولأنها كذلك كانت تنشد الصداقة الفرنسية نظراً للموقف الدولي . إذ في بداية العقد التاسع من القرن ١٩ كانت قد بدأت تظهر قوى بحرية ذات شأن منها فرنسا ثم ألمانيا ثم إيطاليا والنمسا وروسيا ، وكل من هذه الدول انشأت أسطولا حديثاً (٧٠) ، فأصبحت الولايات الاسلامية الضعيفة ليست بذات شأن كبير في الاستراتيجية الدفاعية البريطانية ، بل لقد وجدت من ينادى في ذلك الوقت بالتخلي عن سياسة الدفاع عن الامبراطورية العثمانية لأن هؤلاء رأوا أن بريطانيا لن تستطيع حماية بقائها ، فقد كانت حكومة الأحرار برئاسة جلادستون في أواخر العقد الثامن ترى نفسها مضطرة للتسليم بتونس لفرنسا بسبب الوعد الذي أعطاه سالسبري لوادنجتون في برلين سنة ١٨٧٨م ولأن رجال البحرية البريطانية غيروا من نظرهم إلى تونس وبنزرت ، فقد رأى لورد نورثبروك Northbrook أن بنزرت ووقوعها في يد فرنسا لا يعرض مالطة للخطر ، ولا يفقدها قيمتها كما يقول البعض (١٧١) ولذا فقد آثر جلادستون ألا يخاطر بالعلاقات البريطانية الفرنسية الطيبة .

وفي ذلك الوقت كان الأحرار قد نظروا إلى أن التضامن الأوربي يمكن أن يحمي ويسوى الأهداف ويقضى على الأنانية ، ووجدوا أن حماية الطريق إلى الهند هو في الحفاظ على الحالة الراهنة في البحر المتوسط ، وليس الضرورة اتباع السبيل الذي اتخذته حكومة ذرائيلي في الحفاظ على الامبراطورية العثمانية في آسيا ، بل فكروا في اعادة قبرص إلى تركيا (٧٢) ، وكذلك كان الاعتماد على القوة البحرية ، ولذا نظرت هذه الحكومة إلى أن اقتسام مناطق النفوذ سيكون حينذاك سهلاً ، فقد كانت بريطانيا تروم مصر ، وترى أن فرنسا تعارض في الوقت الذي كانت فيه النمسا تريد البوسنة وإيطاليا تريد ألبانيا ، وفرنسا تريد تونس ، وهكذا بالتفاهم يمكن حل المشاكل عن طريق

تعويض كل دولة بما تريد عنانما يحين الوقت لمناقشة أمر مصر (٧٢) ومع كل فقد كان ليونز يرى أن هذا التحالف وهذا التفاهم غير ممكن .

ولما ذهبت فرنسا إلى تونس سنة ١٨٨١ م ، وبدأت إيطاليا تخشى من وجود فرنسا في تونس بعد ذلك ، وتخشى منها كذلك على طرابلس التي بدأت تفكر فيها بعد ضياع تونس ، دخلت معها بريطانيا وفرنسا في حلف البحر المتوسط من أجل الحفاظ على الحالة الراهنة فيه Status Quo وفي البحر الأسود كذلك ، فقد أصبح التحدي الحقيقي لبريطانيا في الثمانينات هو حرب في البحر المتوسط ، وكانت القوة الفرنسية فيه كبيرة : ودخول بريطانيا في حرب مع فرنسا ، ناهيك عن تحالف روسيا معها في أواخر العقد التاسع ، كان يعني سحب عدد لا يقل عن تسع أو عشر سفن من بحر الشمال ، مما يترك القنال الإنجليزي بلا قوة دفاعية كافية (٧٤) ، ولذا فعندما فرضت فرنسا حمايتها على تونس ، وبدأت تجهز بنزرت كميناء حربي ، وأخذت إيطاليا تلح على بريطانيا أن تتخذ موقفاً حاسماً ، وأن تنظر إلى الموضوع نظرة اهتمام أكثر ، وجدنا سالسبري يسوف ، ويعد دون أن يتخذ موقفاً وتصرفاً حاسماً يرضى حليفتها ، بل لقد نظر إلى الحلف الثلاث كعبء ، وأنه ما دخل فيه إلا لأنه أراد له لموضوعات ومواقف كان يراها أكثر أهمية من تونس وتصرفات فرنسا فيها وموقف إيطاليا منها ، ثم أنه نظر إلى الألمان والنمساويين كحلفاء أكثر نفعاً في تعامله مع الدولة العثمانية ، ومع روسيا وفي تصرفاته في مصر وفي تعامله مع الفرنسيين .

ومنذ ذلك الوقت بدأ البريطانيون يعملون ليكون الأسطول البريطاني في البحر المتوسط كقوة لقوتين ، وكان الصراع حول مدغشقر وحول زنبار وحول وادي النيل كافياً لكن ترى فرنسا أنها أحق بأن تتنازل لها بريطانيا عن تصرفاتها في تونس ، وأن تعترف بوضعيتها في مدغشقر في مقابل اعترافها هي بالحماية البريطانية في زنبار ووادي النيل ، أي أن تونس في ذلك الوقت كانت ورقة تلعب بها بريطانيا وتساهم بها فرنسا في

مقابل أوضاع ومصالح بريطانيا رأتها أكثر أهمية ، وبالمثل ورقة في يد فرنسا تساوم بها بريطانيا لتعترف بوضعيتها في يد فرنسا في مقابل اعترافها هي بهذه المصالح البريطانية .

والغريب أن هيئة الاستطلاعات الحربية البريطانية قدمت مذكرة في سنة ١٨٨٨م تقول أن بنزرت (أفضل بقعة استراتيجية في البحر المتوسط) ثم عادت لتقول بعد سنتين تقريبا في يناير سنة ١٨٩١م أن بنزرت هي عبء على البحرية الفرنسية ، وأن إنشاء قاعدة بحرية فيها لا يهدد ولا يغير ميزان القوى في البحر المتوسط ، وأن إنشاء هذه القاعدة سيضيع وقت الفرنسيين ، وسيضيع ما لهم وجهدهم ، ولعل هذا هو مادعا سالسبري ينصرف عن مساندة حلفائه الايطاليين عندما احتجوا على الفرنسيين وثاروا ضد تصرفاتهم في تونس وطر ابلس . (٧٥) .

ثم سرعان ما جاءت التقارير تقول أن الأسطول البريطاني في البحر المتوسط في حاجة إلى تدعيم ، فقد أصبح لا يفي بالحاجة الدفاعية بعد أن حالفت روسيا مع فرنسا ، وبعد أن خرج الأسطول الروسي الحديث من البحر الأسود إلى البحر المتوسط (٧٦) وقيل أن فرنسا تزمع منح روسيا قاعدة في بنزرت ، فأصبحت القوة البحرية البريطانية لا تستطيع الدفاع عن القسطنطينية والسلطان قد حصن الدردنيل ولم يحصن البسفور ، ولذا فقد تمكن الاسطول الروسي من الخروج إلى البحر المتوسط وتهذت قوة بريطانيا فيه (٧٧) .

ووجد روزبري أنه لا بد من معاونة الحلف الثلاثي وخاصة بعد الموقف غير المتعاون من ألمانيا ، وذلك في حالة تحالف روسيا مع فرنسا ، وكان الحل هو ضرورة تدعيم هذه القوة البحرية (٧٨) . فقد رأى البريطانيون أن في هذا التقارب الفرنسي الروسي عملا متوقعا ضد بريطانيا في البحر المتوسط ، فشعروا بضرورة تدعيم قواتهم البحرية (٧٩) ، فقد كان هذا الأسطول تعوزه المدافع الكبيرة ، والسفن الجيدة ، وكان رجاله في حاجة إلى مزيد من التدعيم والتدريب (٨٠) ، وكذلك كان الجيش نفسه في حاجة إلى تدعيم

وتقوية وإلى رجال جدد(٨١) ، وقد نوقشت مسألة الجيش والأسطول ،
وتدعيمهما في البرلمان البريطاني ، ولكن مجلس الوزراء انقسم على نفسه
حول هذا الموضوع فعلى حين أيد لورد روزبري ذلك ووقف معه وزير
البحرية إرل سبنسر لم يقتنع بذلك جلادستون ووليم هاركورت وزير الخزانة
وأعلن جلادستون أن الأسطول البريطاني كفاء للقيام بما يناط به في البحر
المتوسط ، ولضمان السيادة البريطانية (٨٢) ثم عندها اخذت الشائعات تردد
أن فرنسا ستعطى روسيا قاعدة بحرية في بنزرت ، وأن الأسطول الروسي في
البحر الأسود سيمر إلى البحر المتوسط ، وأن الروس سيركزون أنفسهم في
إحدى الجزر قرب Mount Athos(٨٣) بدأوا يشعرون بضرورة تدعيم هذه
القوات البحرية (٨٤) . وأدى ذلك إلى تحلف بريطانيا عن نصره إيطاليا ،
كما تود في صراعها مع فرنسا في مسألة الحدود التونسية الطرابلسية بعد أن
رأت فرنسا أنه من الضروري لها ضم المنطقة حول غدامس وغات للسيطرة
على طريق القوافل مع تشاد (٨٥) ، وكل هذا لم يذهب ببريطانيا إلى حد
التخلي عن حقوق رعاياها وحقوقها التي كفلتها لها معاهدة يوليو سنة ١٨٧٥ م
مع تونس (٨٦) .

ثم تغيرت السياسة البريطانية تجاه الدولة العثمانية ، فعندما جاء سالسبري
إلى الحكم مرة ثانية ، وجد أن روسيا تستطيع الاستيلاء على القسطنطينية ،
وأنة من الضروري تغيير سياسته نحو العثمانيين ، فبدأ يتخلى عن مبدأ توجيه
السياسة البريطانية نحو تدعيم الامبراطورية العثمانية والحفاظ عليها إلى ضرورة
الاحتفاظ بمصر والسيطرة على وادي النيل بل ومحاوله التفاهم مع الروس .

ثم برهنت الأحداث على أن فرنسا في عنفوان قوتها لم تستطع نقل ١٥
ألف جندي إلى مدغشقر (٨٧) ، وهنا فكر البريطانيون في الوصول إلى تفاهم
مع فرنسا حول تونس وغيرها مثل سيام والنيجر .

ولم يكن سالسبري أيضاً يريد للتحالف الثلاثي أن ينفرد عقده ، مع

أنه لم يكن يستطيع أن يقدم للنمسا ماتريد من حماية المضائق ، ولم يكن مستعداً لتقديم ما يطلبه ايطاليا في تونس وضد سياسة فرنسا فيها وفي الحلود الطرابلسية حتى أصبح أمر خروج ايطاليا من حلف البحر المتوسط أمراً محتملاً في سنة ١٨٩٦م ، ولكن بعد معركة عدوة وهزيمة ايطاليا أمام الأحباش صار احتمال التفاهم الانجلوا ايطالى كبيراً ، فقد كان كذلك تدعيم الموقف البريطانى في حملة دنقلة أمراً مطلوباً ، وقد كسبت بريطانيا بهذه الحملة مركزاً استراتيجياً واضحاً . (٨٨) .

ومع هذا فان تقارير وزارة الحربية ، والادmirالية جاءت لتقول أن بريطانيا في مركز لا تستطيع فيه مواجهة كل الاحتمالات ، فهناك حليف أفقدته الهزيمة في عدوة روجه ، وهناك ألمانيا التي أخذت تبعد عن بريطانيا وهناك النمسا التي أخذت علاقتها مع بريطانيا تفتّر ، وهناك الخلافات مع الولايات المتحدة ، وهناك ثورة في جنوب أفريقيا ، وحملة فرنسية معادية على النيل قادمة من الكونغو ، وهناك تحالف فرنسى روسى ، وفي حالة الحرب كان أمر تدعيم جبل طارق ومالطة أمراً لا يمكن الاعتماد عليه بشكل جدى ، ولذا فقد أصبح أمر التمسك بمصر والحفاظ على الحالة الراهنة في مراكش أمر ضرورى ، وصار أمر الحفاظ على الحلف الثلاثى في البحر المتوسط ، أمراً لا مناص منه ، وأصبح أمر تجنب الحرب مع فرنسا وحليفها الروسياً أمراً ضرورياً أيضاً . (٨٩) .

ومع ذلك فان سالسبرى وبنثقة ، وكان يرى أنه يمكنه التعامل مع فرنسا وروسيا في البحر المتوسط (٩٠) ، وهو مع ذلك كان لا يريد الاضطدام باليه سيا ولا بحلفائها ، ولذلك فقد قدم تنازلات واضحة وتصرف تصرفات ودية مع فرنسا في مفاوضاتها معها ، وذلك على أسس سياسية عامة (٩١) ، وأصبح في سنة ١٨٩٧م قلقاً يريد تسوية كل الخلافات حول هذا الموضوع وظهر أثر ذلك عندما أخذت المفاوضات البريطانية الفرنسية حول تونس

تتخذ موقفاً وخطاً صلباً ، فالأسس العامة للسياسة البريطانية لم تخضع تماماً لما ارتأته وزارة الحرب والبحرية ، وقد تشدد وزير المستعمرات تشمبرلين (٩٢) ووزير الخزانة كيرزون وجعلوا سالسبرى (٩٣) نفسه كرئيس للوزراء ووزير للخارجية يتخذ هذا الموقف المتشدد (٩٤) ، وكان الحظ في ذلك الوقت في جانب بريطانيا لأن روسيا اتجهت بأنظارها بعيداً عن المضائق إلى الشرق الأقصى .

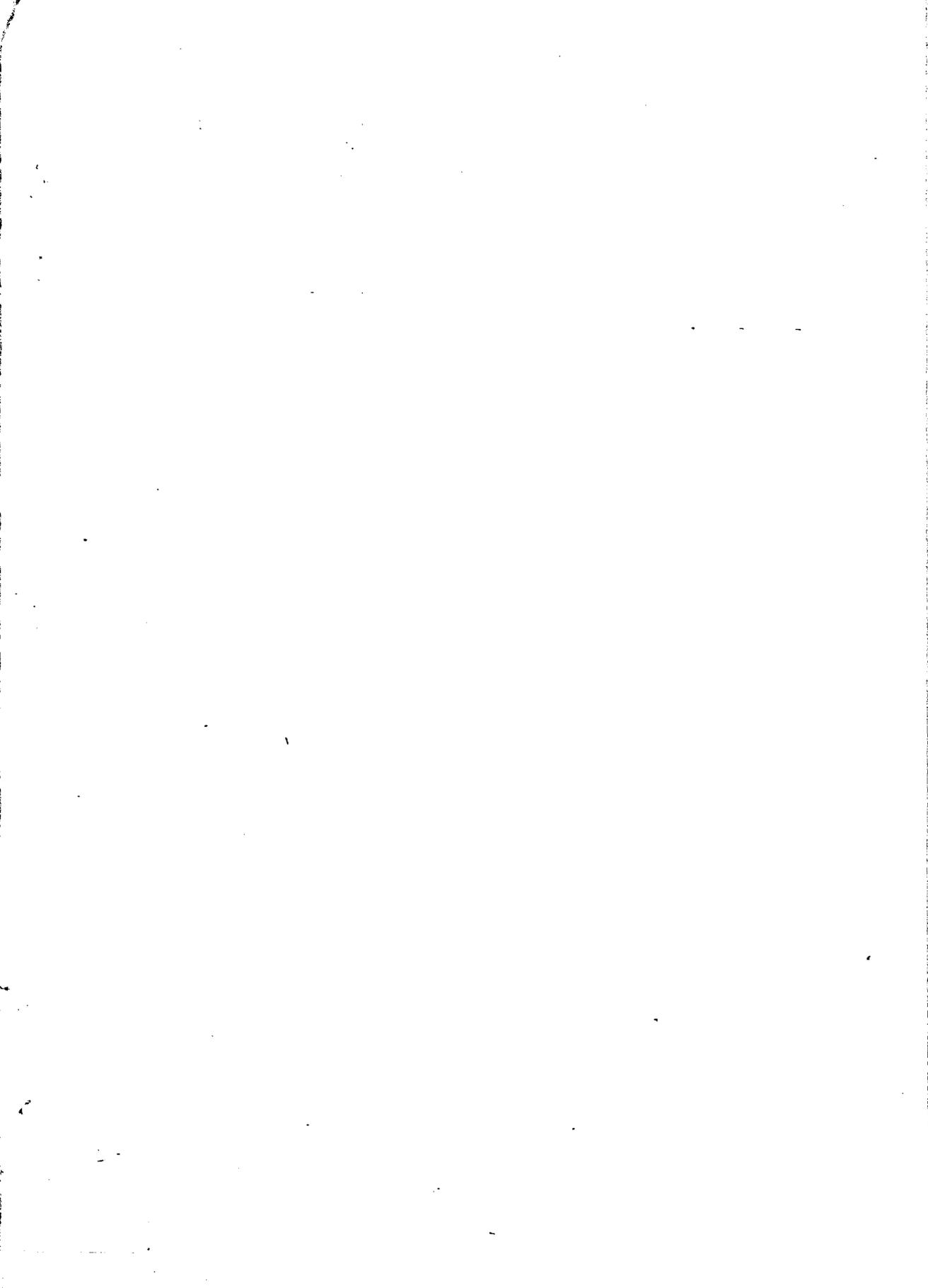
وكانت البحرية البريطانية تجذب تركيز قوات بحرية في مالطة لأسطول البحر المتوسط تدعمها قوات من بحر الشمال متمركرة في جبل طارق (٩٥) ، ولكن رئيس هيئة الاستطلاعات الحربية كان يخشى من توغل برى فرنسى من تونس إلى مصر ، مع أن الأحداث وضيق الأهالى في تونس بفرنسا وحكمها برهنت على أن هذا كان غير ممكن ، ولم تبهن بنزرت على أنها كما قال هانوتو (تمسك البحر المتوسط من خناقة) ، وأن كان الايطاليون حلفاء لندن قد ظلوا يخشون التوغل الفرنسى من تونس إلى طرابلس ، فان سالسبرى لم يعر ذلك الخوف الاهتمام الكافى .

ومع نهاية القرن التاسع عشر ، كانت بريطانيا قد دعمت قواتها في البحر المتوسط وطرحت فكرة الحفاظ على كيان الامبراطورية العثمانية . ولم تكن تهتم جيداً بتدعيم ايطاليا اثر تخوفها من سياسة فرنسا في تونس وطرابلس ، وحافظت على الحالة الراهنة في مراكش ، وبدت مستعدة لركوب كل المخاطر من أجل تدعيم مركزها في حوض النيل (٩٦) ، فقد كان اهتمام الروس بمد خطوط السككة الحديد عبر سيبيريا ، واهتمامهم بالشرق الأقصى عاملاً جعل بريطانيا تهتم بطريق قناة السويس حتى تحمى الهند (٩٧) .

وظلت البحرية البريطانية ترى أن ماتم بالنسبة لتدعيم الأسطول غير كاف وحبدت عملية تركيز القوة البحرية البريطانية بأقصى درجات الاستعداد والقوة في المياه الاقليمية ، وفي البحر المتوسط ، ومن أجل هذا حدث تحالف مع الأمريكيين ، ومع اليابانيين لدعم دفاعات بريطانيا في الشرق

الأقصى ، ولمنع اليابان من التحالف مع الروس .

ظل التحالف الإيطالي مع بريطانيا دعما لقوة بريطانيا في البحر المتوسط في منطقة جديية بالنسبة لمصالحها ، وفي نفس الوقت تبين أن استعدادات الألمان إنما هي للعمل في بحر الشمال وضد بريطانيا ، وأدى هذا الموقف بكل محاذيره إلى التقارب الأنجلو فرنسي ، ثم انتهى إلى أن يعقد لاندزدون Landsdowns الاتفاق الودي مع فرنسا عام ١٩٠٤م ، وفيه تركت بريطانيا لفرنسا الحرية في شمال أفريقيا بما فيه مراکش ، في مقابل أن تترك فرنسا الحرية لبريطانيا في مصر . (٩٨) .



- 1) E.A. Benians; The Cambridge history of the British Empire. Vol. ii. The growth of the new Empire. 1983. Cambridge 1940. P. 567.
- 2) The Cambridge Modern History. Vol. IX. Cambridge. 1907 P. 751.
- 3) The Cambridge history of the British Empire. Vol. ii. P. 568.
- 4) Ibid. P. 568.
- 5) A.W. Wood and G.P. Gooch; Cambridge history of British foreign policy. 1783—1919. Cambridge. 1923. Vol. ii. PP. 7—35.
- 6) Frank E. Bailey; The Economics of British Foreign policy. 1825—1850. (J.M.H. Vol. xii. No. 4. 1940. PP. 449—451).
- 7) Halford Lancaster Hoskins; British Routes to India (Longmans. Green & Co.) Lond. 1928 PP. 108—112 and P. 231.
- 8) The Cambridge history of the British Empire. Vol. ii. PP. 570—571.
- 9) Ibid. P. P. 570—571.
- 10) The Cambridge history of British foreign policy. Vol. ii. P. 182.
- 11) Hoskins; Op. Cit. P. 268.
- 12) The Cambridge history of British foreign policy. Vol. ii. P. 263.
- 13) David Urkhart; Turkey and its resources, its municipal organization and free trade ... Lond. 1833 & David Ross; Opinions of the European Press, on the Eastern Question. Lond. 1836.
- 14) F.O. 78/220. Palmerston to Ponsonby. 6th Dec. 1833. & Hansard's. Parliamentary Debates. 3rd. Series Vol. 22, 1833. PP. 307—349.
- 15) Bailey; Op. Cit. PP. 451—455.
- 16) Francois Charles Rous; Autour d'une Route; L'Angleterre, l'Isthme de Suez et l'Egypte au XVIII^e siècle. (Plon-Nourrit et Cie) Paris. 1922. PP. 201—219.

- 17) Hansard 3rd Series. Vol. 24. P. 142.
- 18) Charles-Rous; Op. Cit. PP. 207—219.
- 19) Hansard. 3rd Series. Vol. 147. PP. 652-662. & 676—683.
- 20) D.C.M. Platt; Finance, Trade, and Politics in British Foreign Policy.1815—1914. (Clarendon Press).
Oxford. 1968. P. 249.
- 21) Baily; Op. Cit.; PP. 455—478.
- 22) F.O. 78/220. Palmerston to Ponsonby . No. 22. 6th Dec. 1833.
- 23) F.O. 78/240. From Ponsonby No. 187. 25th Nov. 1834.
- 24) Baily; Op. Cit. PP. 482—483.
- 25) F.O. 78/330 Ponsonby to Mezani. 17th April. 1838.
- 26) Philip Mosely; Russian diplomacy and the opening of the Eastern Question in 1838 and 1939 (Russel and Russel) New York. 1969.
P. 99.
- وكان محمد علي ذكيا ، فقد وافق في ١٦ أغسطس سنة ١٨٣٨ على تنفيذ هذه السياسة وعدل عن بعض نظمه التجارية وأعلن أن هذا ليس من باب الخضوع للسلطان وظل سيد الصناعة والتجارة في مصر . فخاب ظن بريطانيا (موصلى ٠ ص ١٠١) .
- 27) P.R.O. 30/29/18 A. Granville to Russel 12th Jan. 1852.(Granville private papers in the Public Record Office).
- 28) Ibid. 30/29/11 A.Russel Memorandum.19th June 1853 & Palmerston Memorandum 20th June 1893.
- 29) Kenneth Bourne; The foreign policy of Victorian England. 1830—1902. (Clarendon Press). Oxford:1970. PP. 313—316.
- 30) Ronald Robinson & John Gallagher & Alice Denny; Africa and the Victorians. (Macmillan and Co. LTD.) Lond. 1961.
PP. 76—77.
- 31) Lady Francis Balfour; The Life of George Fourth, Earle of Lord Aberdeen. In Two Vols. (Hodder and Stroughton LTD) Lond.
P. 252.

- 32) Ibid. PP. 249—250.
- 33) Francis Rosebro Flourney; British Policy towards Morrocco. In The age of Palmerston. 1830—1865. Lond. 1935. PP. 54—55. (P. Sking & Son. LTD).
- 34) Robinson (Roland) & John Gallagher and Alic Denny; and Africa and the Victorians. (Macmillan and Co. Press) Lond. 1961. PP. 76—77.
- 35) F.O. 27/578. Palmerston to Granville No. 413. Dec. 10, 1839,
- 36) Rosebro; Op. Cit. PP. Rosebro; Op. Cit. PP. 57—58.
- 37) F.O. 27/578. Palmerston to Granville No. 413. Dec. 10, 1839.
- 38) Rosebro; op. Cit. PP. 59—60.
- 39) F.O. 27/626. Bulwer to Palmerston. Confidential and Secret. July 30, 1841.
- 40) Leonard Sideny Woorf; Empire and Commerce in Africa. London. 1919.P. 81—82.
- 41) A.J.P. Taylor; the Struggle for mastery in Europe. The Oxford history of Modern Europe. PP. 59—66. and 228—285. Oxford 1957—2nd Edit.
- 42) Ibid. P. 228.
- 43) Dwight E. Lee; Great Britain and the Cyprus Convention policy of 1878. (Cambridge. Harvard Univrsity Press. 1934). P. 5. Margin.
- 44) Ibid. PP. 4—12.
- 45) The Times. Nov. 26 & Dec. 7, 1875.
- 46) Dwight C. Lee; Op. Cit. P.8.
- 47) Lord Newton; Lord Lyon s. Arcord of British diplomacy. 2 Vols. (Edward Arnold) Lond. 1913. Vol. ii. PP. 87 — 90.

- 48) Ibid, PP, 96—97 & William Langer; The diplomacy of Imperialism 1890 — 1902. London 1935. Vol. 1. PP. 75—81.
- 49) Hansard. 3rd Series Vol. 228. PP. 500—501.
- 50) Newton; Op. Cit. PP. 104—105.
- 51) Lee; Op. Cit. P. 27.
- 52) Ibid; P. 11.
- 53) Arthur Marder; British Naval Policy in 1878 (J.M.H.) Vol. 12. No. PP. 367 — 369.
- 54) Dwight E. Lee; A memorandum Concerning Cyprus. 1878. (J.M. H. Vol. iii. No. 2 June 1931) PP. 235 — 241.
- 55) Carl Brown; The Tunisia of Ahmed Bey 1837 — 1855. (Princeton University Press. 1974) PP. 19 — 21.
- 56) Jean Ganiage; Les Origines du Protectorat Francias en Tunisie. 1861 — 1881. (Presses Universitaires de France). Paris 1959. P. 37.
- 57) Robin Hallet; Africa to 1875 — (Hein mann) London 1880. P. 391.
- 58) Woolf; Op. Cit. P. 104.
- 59) Eugene Staley; War and the Private investor. A Study in the relations of international politics and international investment. (A University of Chicago Book. Dundleday Poran Inc. New York ? PP. 327 — 352.
- 60) Edmond Fitzmaurice; The life of Granville George Leveson Gower, Second Earle Granville. 2nd Edition. 2 Vol.z Lond. 1905. Vol. 2.P. 234.
- 61) Jean Darcey; Cent année de rivalité coloniale. L'Afrique; Paris 1904. PP. 197— 205.
- 62) Salisbury to Disraeili. Private March 21, 1878. Lady Gwendolen Cecil; Life of Robert Marquis of Salisbury. 4 Vols. (Hadder and Stroughton LTD). Lind. 1921. Vol. ii. PP. 213 — 214.
- 63) Parliamentry Papers. From Salibury. 1st April. 1878. PP.765— 772. Vol. 81.

- 64) Salisbury to Henry Layard. May 9, 1878 & Temperley and Penson; Foundations of British foreign policy from Pitt (1792) to Salisbury (1902) or Documents old and new. Lond. 1938. PP. 384 — 385.
- 65) Lee; Great Britain and the Cyprus Convention policy. PP, 40—42.
- 66) Ibid; P. 42.
- 67) Stephen Gynn M.P. and Gertrude M. Tuk well; The life of the Rt. Hon. Sir Charles Dilke. 2 Vols. (John Murray....) Lond. 1918. P. 249.
- 68) F.O. 363/1. To Tenterden July 2, 1878.
- 69) Arthur J. Marder; The anatomy of British sea power. A history of British naval policy in the pre-Dead-nought Era. 1880—1905. (Octagon Books) New York 1976 — P. 120.
- 70) W.N. Melicott; Bismark, Gladstone and the Concert of Europe. (University of London. The Antelope Press) Lond. 1956. P. 910.
- 71) Callagher; Op. Cit. P. 93.
- 72) Melicott; Op. Cit. P. 310.
- 73) Marder; The anatomy of Sea-power. PP. 129 — 131. & P.146.
- 74) Ibid; Chapter 9 P. 145 and Squ.
- 75) Ibid; PP. 146 — 153
- 76) P.R.O. 30/40/14. John Ardagh memorandum No. 5. Secret. Oct. 1896.
- 77) Arthur Marsden; British diplomacy and Tunis, 1875 — 1902. A case study in Mediterranean Policy (Scotch Academic Press). London. 1971. PP. 216 — 217.
- 78) Salisbury to Ponsonby May 4, 1888 : George Earle Buckle; The letters of Q-Victoria. 3rd Serie. Vol. 1. 1886—1890. (John Murray) Lond. 1930. PP. 409 — 410.
- 79) Ibid. Salisbury to the Queen. F.O. May 8, 1888 P. 410.

- 80) Ibid. Ponsonby to the Queen. May, 10 & 13. 1888. PP. 410—11.
- 81) Hansard 4th Series Vol. 18. PP, 349. & 1151.
- 82) William L. Langer; Franco Russian Alliance (Octagon Books) New York 1977. PP. 360 — 362.
- 83) Queen Victoria to Salisbury. Very Confidential. June 8, 1888 PP. 413 — 414. & Salisbury to the Queen June 12 1888 F.O.PP. 414—415. (Lettrs ofQ-Victoria Vol. 1).
- 84) Arthur Marsden; Britain and the Tunis Rase 1894—1899.(E.H.R.) Vol. Lxxix. No. 1. January 1964. PP. 68 — 70.
- 85) J.L. Garvin; The life of Joseph Chamberlain Empire and World policy. Vol. 3. 1895—1900. (Macmillan and Co. LTD).Lonb—1934 PP. 231 — 232.
- 86) Arthur Marsden; Britain and The End of the Tunis Treaties 1894 —1897. (E.H.R.) Supplement. P. 12.
- 87) F.O. 45/747. Salisbury to Clairford, No. 65. Conf. May 20, 1896.
- 88) Marder The anatomy of sea power. PP. 268 — 273 & PP. 569—580.
- 89) Marsden; British diplomacy and Tunis. P. 220.
- 90) Marsden, Britain and the End of the Tunis Treaties. P. 58.

٩١ - جوزيف تشمبرلين (١٨٣٦ - ١٩١٤م) كان ابنا لصانع أحذية تعلم في جامعة لندن وعمل في مجال التعليم حتى سنة ١٩٧٥م - تولى رئاسة هيئة التجارة ٨٠ - ١٨٨٥م - ثم رئيسا لإدارة الحكومة المحلية ١٨٨٦ - قاد تضامناً الأحرار في مجلس العموم ١٨٩٢ . وأصبح وزيراً للمستعمرات من ٩٥ - ١٩٠٣م ص ٤٨ .

Richard Shannon, The Crisis of Imperialism 1865 — 1915. Paladin)
London,

٩٢ - روبرت آرثر جاسكوين سيسل . ثالث مركز أوف سالسبري (١٨٣٠ - ١٩٠٣) تعلم في تشرش ايتون وكوست . جامعة اكسفورد . التحق بحزب المحافظين (٥٣ - ١٨٦٨م) عمل في الصحافة . أصبح فيكونت

كرانبورن في سنة ١٨٦٥م .. نال لقب مركيز في سنة ١٨٦٨م أصبح
سكرتيراً لحكومة الهند ٦٦ - ٦٧ ثم مرة ثانية في ٧٤-١٨٧٨م . أصبح
وزيراً للخارجية في ٧٨-١٨٨٠م - عين رئيساً للوزراء ثلاث مرات في
٨٥ - ١٨٨٦م وفي ١٨٨٦ - ١٨٩٢م وفي ١٨٩٥ - ١٩٠٢م .. وفي نفس
الوقت شغل منصب وزير الخارجية ماعدا بضعة شهور سنة ١٨٨٦م ، ومن
١٩٠٠ - ١٩٠٢م .. كان خالاً لآرثر بلفور .. كان يمتاز بالحنو وأحب
العلوم الرياضية (اقترن اسمه بقضية تونس كثيراً) .. (ص ٤٨٩ .. ج .Ibid)

(93) Marsden; Britain and the End of the Tunis Treaties. P. 70.

(94) Marder; The Anatomy PP. 321 — 328.

(95) Marsden; British diplomacy and Tunis. PP. 221 — 222.

(96) Granville; Lord Salisbury and Foreign Policy. PP. 294—296.

(9) G.P. Gooch and Harold Temperly; British documents on the
Origins of the war. Lond. 1926 Vol. ii.

„The Anglo-French Treaties of April 8. 1904— PP. 285—
407.“

مراجع الدراسة

أولاً : وثائق غير منشورة

موجودة في

The Public Record Office.

(P.R.O.)

١ - المراسلات مع تركيا

F.O. 78.

٢ - المراسلات مع فرنسا

F.O. 27.

٣ - المراسلات مع إيطاليا

F.O. 45.

٤ - أوراق لورد جرانفيل الخاصة

P.R.O. 30/29.

٥ - أوراق لودر تنسترون الخاصة

F.O. 363.

٦ - أوراق لورد ارداغ الخاصة

P.R.O. 30/40.

ثانياً : وثائق منشورة

- 1) Parliamentary papers.
- 2) Hansard's parliamentary Debates. (Hansard).
- 3) Lord Newton; Lord Lyons. A Record of British diplomacy. 2 Vols. Lond. 1913.
- 4) Temperley and Penson; Foundations of British Foreign Policy from Pitt (1772). to Salisbury (1902) or Documents old and new Lond. 1938.
- 5) George Earle Buckle : The letters of Queen Victoria 3rd Serie. Vol. 1. 1886 — 1890.
- 6) Gooch and Harold Temperly, British Documents on the origins of the War. Lond. 1926. Vol. ii.

ثالثاً : تراجم وسير

- 1) Balfour (Lady Francis); The life of George Fourth Earle of Lord Aberdeen. 2 Vols. (Hodder and Stroughton LTD.) Lond. 1923.
- 2) Cecil (Lady Gwendohlen); Life of Robert Marquis of Salisbury. 4 Vols. (Hodder and Stroughton LTD) Lond. 1921. Vol. ii.
- 3) Fitz maurice (Ddmond.); The life of Granville George Gower, Second, Earle Granville. 2nd Edit. 2 Vols. Lond. 1905.
- 4) Garvin (J.L.) The life of Joseph Chamberlain. Empire and World policy. Vol. 3. 1895—1900. Lond. 1934.
- 5) Gwenn (Stephen) & Gertrude Tukwell; The life of Rt. Hon. Sir. Charles Dilke. 2 Vols. (John Murray) Lond. 1918.

رابعاً : مقالات

- 1) Bailey (Frank E.); The Economics of Foreign Policy 1825—1850. 1850. ((The Journal of Modern History Vol. xii. No. 4. Dec. 1940). (J.M.H.)
- 2) Lee (Dweught E.); A memorandum Concerning Cyprus. 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. iii. No. 2 June 1931. PP. 235—241).
- 3) Lee (Dweight E.) The proposed Mediterranean League of 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. iii. No. 2 March, 1931).
- 4) Marder (Arthur); British Naval Policy in 1878. (The Journal of M. Hist. Vol. xii).
- 5) Marsden (Arthur); A. Britain and the End of The Tunis Treaties 1894 — 1897. (The English of Historical Review. Supplement No. 1).
- 6) B. Britain and the Tunis Base 1894—1899. (The English Hist. Rev. Vol. Lxxix No. 1. 1964).
- 7) Walters (Eurof); Unpublished Documents. Lord. Salisbury's refusal to revise and renew the Mediterranean Agreements. (The Salvonic and East Europe Review Vol. 29).

خامساً : مؤلفات بلغات أوروبية

- 1) Benians (E.A.); The Cambridge history of British Empire. Vol. ii. The Growth of the New Empire. 1783 — 1876. Cambridge 1940.
- 2) Bourne (Kenneth); The foreign policy of Victorian England. 1830—1902. (Clarendon Press.) Oxford. 1970.
- 3) Brown (Carl); The Tunisia of Ahmed Bey 1837 — 1855. (Princeton) University Press. 1974).
- 4) Darcey (Jean), Cent Année de revalité coloniale. l'Afrique. Paris. 1904.
- 5) Flourney (Francis Rosebro); British Policy towards Morrococco in the age of Palmerston. 1830—1865. Lond. 1935.
- 6) Ganiage (Jean); Les origines du protectorate Francais en Tunisie 1861—1881. Paris. 1959.
- 7) Granville: Lord Salisbury and Foreign policy.
- 8) Hallet (Robin); Africa to 1875. (Heinmann) Lond. 1880.
- 9) Hoskins (Halford Lancaster). British Routes to India (Longmans Green & Co.) Lond. 1928.
- 10) Langer (William), The diplomacy of Imperialism 1890 — 1902. Lond. 1935.
- 11) Lee (Dweight E.); Great Britain and the Cyprus Convention policy of 1878 (Cambrdige Harvard University Press, 1934).
- 12) Marder (Arthur); The Anatomy of British Sea power. A history of British Naval policy in the re Dread-nought Eara. 1880 — 1905. New York. 1976.
- 13) Marsden (Arthur); British diploMACy and Tunis. 1875—1902. A case study in Mediterranean Policy. (Scotch Academic Press). Lond. 1971.
- 14) Medlicott. (W.N.); Bismark, Gladstone and the concert of Europe. (Univrsity of Lond.) 1956.

- 15) Mosely (Philip); Russian diplomacy and the opening of the Eastern Question in 1838 and 1939. Russel and Russel.) New York. 1969.
- 16) Platt (D.C.M.); Finance, Trade, and Politics in British foreign policy 1815—1914. (Carendon Press.) Oxford. 1968.
- 17) Roux (Francois Charles); Autour d'une Route L'angleterre, l'Isthme de Suez et l'Egypte au xviii Siécle. Paris. 1922.
- 18) Staley (Eugene); War and the private Investor. A study in the relations of international poitics and international investement New York.
- 19) Shannon (Richard); The Crisis of Imperialism. 1865—1915. Lond.,
- 20) Taylor (A.J.P.) The striggle for mastery in Europe. The Oxford history of Modern Europe. Oxford. 1957.
- 21) Woolf (Leonard Sidney). Empire and Commerce in Africa. Lond. 1919.
- 22) The Cambridge of Modern history. Vol. ix. Cambridge. 1907.

ملحقات

مجموعة مختارة من الوثائق غير المنشورة
من محفوظات وزارة الخارجية البريطانية (F.O.)

F.O. 102/49

— 1 —

Translation from the Arabic.

Parise to God

To the select among the great and the Noble, whose praises are re-echoed in every land;- The Glory of the Eminent, whose virtues no words can sufficiently describe, the Minister for foreign Affairs of Great Britain Lord Clarendon, may he ever be exalted, and never cease to be guarded by Presidential care

After the salutations the most convenient to Your Lordship,

We wish indeed that our communications could find opportunities for being renewed every minute, rather than every hour, according to the rules of intimate friendships.

The Bearer is our Minister of Marine, the trusty, confidential and dearest, the select among his Equals for the nobility of his rank, our Son General Keredine whom we have permitted to visit London, considering that the accomplished cannot see enough of it; we accompany him with this letter, and have desired him to proceed to your Lordship's presence, (should you so far honor him as to allow him to do so) for the object of expressing our feelings of friendship and amity towards your Great Government, as well as the extent of our reliance and confidence in it.

That your Lordship may honor him with a hearing, is what we trust he may obtain from your Lordships friendship, and what we know from your favor.

My you live Long, and may your grandeur be everlasting, on the passage of days and nights

Written by your Lordship's Friend, the humble Servant of God, Mohammed Basha Bey of the Tunisian Kingdom, the 1st Regeb (25 February, 1857).

A true Translation
M'Santillana.

تعليق :

نلاحظ هنا أن الباي يرسل هذه السفارة في سنة ١٨٥٧م أي عقب اتفاق باريس سنة ١٨٥٦ عقب حرب القرم ينشد الصداقة البريطانية ، وكان قد قدم للسلطان العثماني - وبتشجيع من بريطانيا التي وقفت مع السلطان في حربه ضد روسيا ، وبطلب من السلطان - مساعدة عسكرية نقلت على سفن بريطانية ، في الوقت الذي لم تجذب فرنسا هذه المساعدة جريا على سياستها في الفصل بين تونس - التي تراها ولاية مستقلة لاتربطها بالدولة العثمانية أي رابطة سوى الاتفاق في الدين ، ويلاحظ كذلك أن الباي يستخدم عبارة (المملكة التونسية) معتبرا نفسه مستقلا عن الدولة العثمانية ، وكما عبر عن ذلك حين قال عن المساعدة التي قدمها للسلطان في حرب القرم أنه فعل بدافع من الشعوب الاسلامي لا بحكم أنه وال خاضع للدولة العثمانية .

— 2 —

F.O. 102/74. From Vice Adml (Admiral) Ismast

Malta 3May 1864. 12,35 P.M.

The Secretary of the Admiralty

“Three French ships of the levant and troop Under Mr. Admiral have arrived at Tunis where all is tranquil at present. Three Italian Frigates have arrived at Tunis. Pellesiers aide camp is a Tunis. It is said that French Consul General has insisted upon Bey's removing minister. On the Bey's declining he threatend to send French officer to manage Bey's affairs, and it is said that five thousand French Troops are on the frontier”.

— 3 —

F.O. 102/74 Admiralty

7 May 1864

Sir,

I am commanded by my lord Council of the Admiralty to acquaint you that a Telegram — as follows — dated Malta 6th May has been received from Vice-Consul. March Vigt.

„Consul General of Tunis has asked me if I am

prepared to authorise landing of mariners if requested by Bey in case French or other troops are lauded".

Ammot My lord's reponse, you will move Earl Russell
Esf. because (?) me to be informed what answer should be
Foreign sent to xice admiral Mast.
Officer.

I am

Sir

Your most obdeient Servant.

P.S. My lords have informed Admiral mastly Telegraph that mariners are to be landed at Tunis without further Orders and that Captain Wode (of the Millance) is to give every assistance in his power to the British Residents who may desire to embark and to afford them such protective as the means at his disposal will afford, without having been from his ship.

— 4 —

F.O. 102/90

Tunis

No. 10

January 29. 1871.

My Lord,

I have the honour to transmit herewith for your Lordship's consideration a copy of a Despatch, which, owing to the unsatisfactory state of the relations between Italy and Tunis, I have thought it prudent to address to the commander - in chief of Her Majesty's Naval Forces in the Mediterranean.

I have the honour to be, My Lord,
with the greatest respect,
Your Lordship's most obedient
humble servant.

Richard Wood

(to)

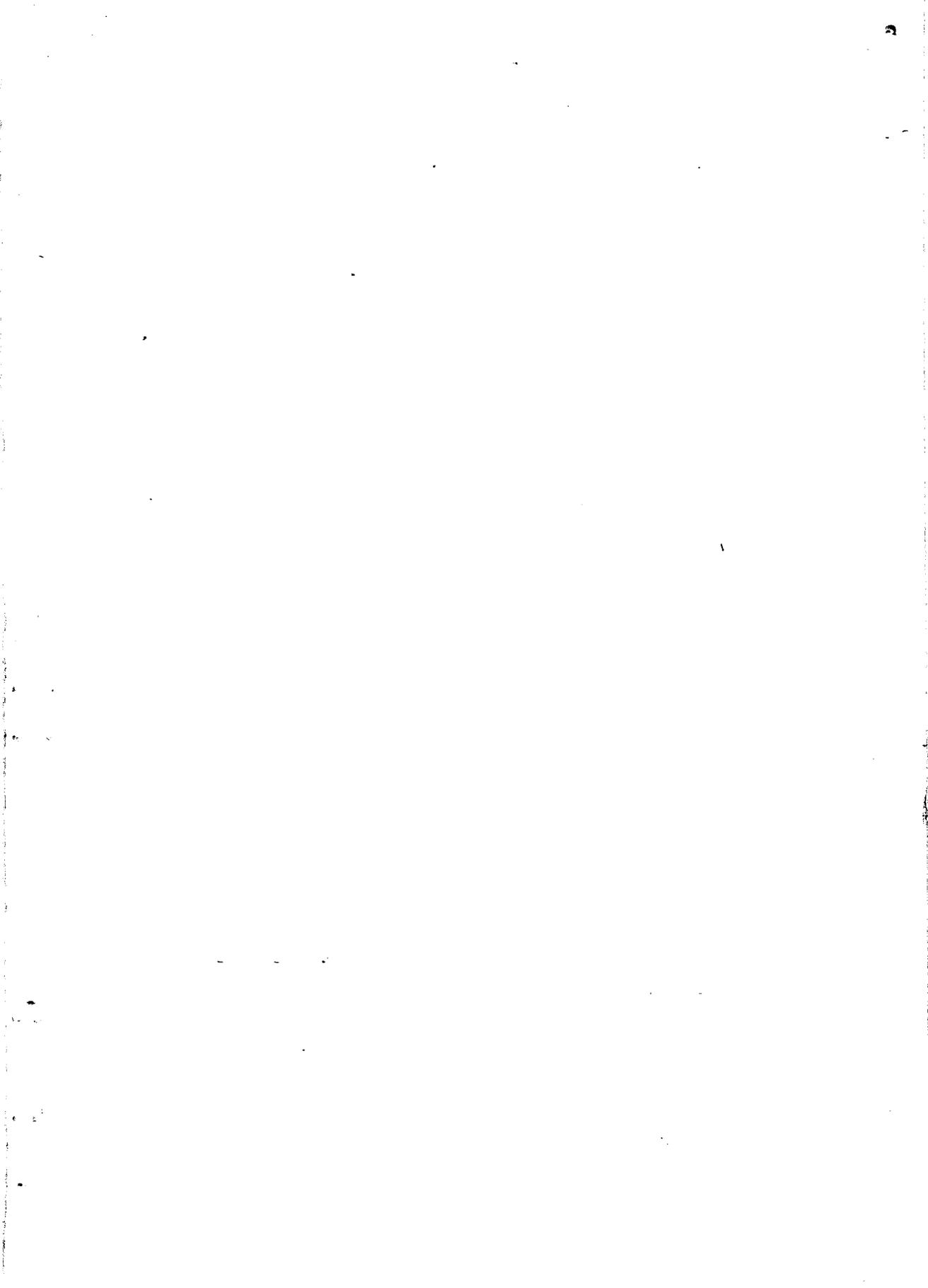
The Right Honble

The Earl Granville. K.G.

Foreign Office.

مصادر التحقيق

- ١ - الإحاطة في أخبار غرناطة ، ابن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، ط ، القاهرة ، ١٩٧٣
- ٢ - درة الحجال في أسماء الرجال ، ابن القاضى (أبو العباس أحمد ابن محمد المكناسى ، تحقيق د . محمد الأحمدي أبو الأنوار نشر المكتبة العتيقة بتونس ، ودار التراث بالقاهرة ، ١٩٧٠ - ١٩٧٢ .
- ٣ - الكتيبة الكامنة في من لقيناه من شعراء الأندلس من شعراء المائة الثامنة ابن الخطيب ، تحقيق د . احسان عباس ، ط ، بيروت
- ٤ - لسان العرب ، ابن منظور ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٥ - نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لابن الأخرم تحقيق الداية ، دار الثقافة ، بيروت .
- ٦ - نفخ الطيب ، المقرئ ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٨



حرف الضاد

٣	المتقارب	ايضاض	يشوق فؤادى زهر الرياض	٣٩
٢		غارض	قالت أتجبه على عارضه	٤٣
٢	المتقارب	ايضاض	أراعى درارى زهر الرياض	٢٧

حرف الطاء

٤		تخليط التكاملى	والدوح ينسقيها الحيا سر الصبا	٦١
---	--	----------------	-------------------------------	----

حرف العين

٢	الطويل	بدعا	غذيرى من ساجى اللواحظ فاتن	٣٨
---	--------	------	----------------------------	----

حرف الفاء

٥	الكامل	يشرف	الموطئين الخليل من أقرانهم	٥٤
٢	الكامل	يوسف	غرناطة مصر ألا هى أشرف	٥٣

حرف الكاف

٢	الطويل	مشكك	تباين فى القبول قدمات لم يمت	٦
٤	الكامل	انتاك	يا دمع أجفانى اطرد	٦٣
٣	السريع	ضحك	طير يغنى ومزاهر تبيكى	٥١

حرف اللام

٢	الكامل	أوجال	يارب أوحده للضنا بجفونه	١٠
٣	الطويل	غليل	إذا ما النوى أذكت بقلبي جرة	١٧
٢		عليل	سفهى عادلى عليه	٧
٢	الطويل	معول	يقولان أقصر قد أضربك البكا	١٢

٤	المتقارب	الأجل	٢٣	دعونا الخطيب أبا البركات
٢	الطويل	بديلاً	٣	أجاذبة بالفكر فهو منادى

حرف الميم

٣	السريع	السقام	٥٧	أفدى التي لولا سقام سرى
٥	السريع	الغمام	٥٦	لاحت وقد أرخت فضول الوثام
٣	السريع	المنام	٥٨	يامن لصب خانة كتبه.
٣	الوافر	الإقامة	٤٩	اشمس الغرب حقاً ما سمعنا

حرف النون

٤	الطويل	عين	٣٤	وروضات آداب تداعو الروضة
٢	الخفيف	بعين	٢٢	ما رأى عين صنصر في صفاء
٥	الكامل	بالاحسان	٢٨	ديوان نظمك مطلبى فاسمع به
٣	الخفيف	ألساني	١٦	عجز لحظ وكسرة في اللسان
٥	السريع	ثمن	٤٥	أية خابلي كم تذايل الكرى

حرف الهاء

٢	الخفيف	لاه	٢٦	ما على من به سقامى وبرئى
---	--------	-----	----	--------------------------

حرف الياء

٤	الكامل	سمس	١٩	أنا فوق عطف الملك أسعد ملبس
٥	الكامل	العشى	٦٠	عمر الحيا عطف التضييب المنتشى
٢	الرمل	على	٥	قلت والشعر يشى فى خده
٣	السريع	مسارية	١٨	يا قاضياً أصبح ذا سيرة